الفصل الأول
مدخل الدراسة

obeikandl.com

obeikandl.com

هذه الدراسة ظاهرها دراسة الماضى، ومراجعة لتاريخ الفرق المبتدعة الذين جنوا على ماضى الأمم، أيضًا هى دراسة حاضرة من حيث إنها تكشف جذور البلاء الذى شتت قوى الأمم وفرقتهم شيعًا، وجعلت بأسهم بينهم شديد. فكل فرقة ظهرت قامت مبادئها على كثير من المنكرات، ومع ذلك تدعى أنها هى المحقة وأن غيرها على الضلال.

فالجهل بدراسة هذه الفرق إنما يؤدى إلى انتشار أفكار لم يعرف الناس مصدرها، ويرددون أقوال وعبارات هى فى الأصل مقتبسة من هذه الفرق، فمثلاً تجد البعض يردد عبارة: "العاشق لجمال النبى يصلى عليه" وهى فى الأصل من أفكار الصوفية، فهم الذين أطلقوا لفظ العشق على الله والرسول، كذلك تجد من يكفر المجتمعات الإسلامية، وما هى إلا أفكار ومعتقدات الخوارج . . . إلخ.

ويذكر علماء الفرق أنه عندما يريد شخص معرفة ظهور فرقة من الفرق على وجه التحديد، فإن ذلك من غير اليسير الوصول إليه والجزم به دون تخمين أو شك، وذلك لأن الفرقة لا تستحق هذا الاسم إلا بعد مرورها بمراحل متعددة، تبدأ فكرة صغيرة، فردية أو جماعية، ثم تتكون شيئًا فشيئًا إلى أن تصبح فرقة ذات منهج مميز لها سياسيًا أو اجتماعيًا، والتخطيط لقيام الفرقة قد تطول مدته وقد تقصر، حسبما يتهيأ لها من الظروف والعوامل المساعدة لقيامها[1].

والخلاف سنة فى الأمم، والعبرة بمن يتمسك بالحق، وقد ظهرت الفرق والمذاهب بين أتباع موسى - عليه السلام - وقد تشعبت اليهود إلى أكثر من فرقة منذ عهد موسى - عليه السلام - يقول تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ

---

١ - غالب عواجى (١٤٢٠). فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام، ص٥٦ بتصرف.

علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١٦٠) ﴾[١] وترجع هذه الفرق إلى أنهم كانوا من اثنى عشر رجلاً من بنى إسرائيل من أولاد يعقوب[٢]، فقطعهم الله فرقًا وميَّز بعضهم عن بعض[٣] وهذه الفرق لم تبقى على هذا العدد، بل زادت وتعددت كما أخبر بذلك النبى محمد ﷺ.

يقول الشهرستانى: إن موسى بنى بيتًا وصور فيه صورًا وأشخاصًا وبين مراتب الصور وأشار إلى تلك الرموز، ولما فقدوا الباب - أى باب حطة - ولم يمكنهم التسور تحيروا تائهين، وتاهوا متحيرين فاختلفوا على إحدى وسبعين فرقة فصور القرآن الكريم اختلاف بنى إسرائيل وعدم امتثالهم لأوامر الله مؤكدًا إصرارهم على ارتكاب الخطايا، فقال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾**[٤]، [٥].

وقد أوضح الحديث الشريف فيما بينه الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: قيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجدًا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم، فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا حبة فى شعرة[٦].

---

١ - سورة الأعراف: ١٦٠ .

٢ - أبناء يعقوب من زوجاته هم: رأوبين، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، ويساكر، وزبولون، وجاد، وأشير، ويوسف، وبنيامين، ودانا، ونفتالى . . وهؤلاء هم أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر.

٣ - راجع التفسير الكبير للرازى، ٨: ٣٥ .

٤ - سورة البقرة: ٥٨ .

٥ - انظر: الملل والنحل للشهرستانى.

٦ - رواه مسلم فى التفسير برقم: ٣٠١٥ .

ثم ظهرت الفرق والمذاهب أيضًا بين أتباع المسيح - عليه السلام - وقد تشعبت المذاهب وتعددت الرؤى، وكانت كلها تنصب على محاولة الإجابة على طبيعة العلاقة بين الله والمسيح، أو بين الآب والابن، وفى مرحلة تالية الإجابة على ماهية طبيعة العلاقة بين الآب والابن والروح القدس. ومن المقرر فى تاريخ المسيحية بالبداهة أن التثليث بالشكل الذى عليه الآن لم يُعلن للناس دفعة واحدة، بل فى أزمان متفاوتة مختلفة، فانعقدت المجامع بسبب الاختلافات، وإنك لترى ذلك واضحًا فيما كان من موقف "آريوس" عندما ظهر مقاومًا لفكرة ألوهية المسيح ومنازعًا كنيسة الإسكندرية.

وتنقسم المجامع إلى قسمان: مجامع عامة Provincial Councils أو مجامع "مسكونية"، أى تجمع رجال الكنائس المسيحية فى كل أنحاء المعمورة (المسكونة)، لمناقشة أمر يخص الإيمان المسيحى، بهدف حفظ النظام وسلامة العقيدة بين المسيحيين فى شتى أنحاء العالم. ومجامع مكانية Diocesan Councils، وهى التى تعقدها كنائس مذهب أو أمة فى دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها، إما لإقرار عقيدة أو لفض خلاف[1]. هذه المجامع هى التى رسمت التقاليد الكنسية القائمة فى الكنائس، وهى التى فلحت الأرض لتبذر بذور المسيحية التى سادت أفكار المسيحيين فى الأجيال من بعد.

ولأجل ذلك حذر الله تعالى المسلمين من التفرق فى آيات كثيرة من القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[2] ويقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... ﴿١٠٣﴾﴾[3] وقد نبه النبى محمد - ﷺ - إلى وقوع الخلاف بين الأمة، جاء ذلك فى حديث العرباض بن سارية[4] قول النبى - ﷺ - "فإنه من

١ - محمد أبو زهرة، محاضرات فى النصرانية، ص١١١.

٢ - سورة الأنعام: ١٥٣ .

٣ - سورة آل عمران: ١٠٣ .

٤ - العرباض بن سارية، أبو نجيح الفزارى السلمى، كان من أعيان أهل الصفة، نزل الشام ومات بها بعد السبعين، روى له أصحاب السنن، وروى (٣١) حديثًا.

يعش منكم فسيرى اختلافًا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

وقد أخبر الرسول - ﷺ - بافتراق الأمم السابقة، وأن أمته ستفترق أيضًا، ومع ذلك فقد بين أن من بين تلك الفرق هناك فرقة واحدة على الحق وقد سماها الفرقة الناجية، وما عداها باطل، تجد ذلك فى حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة»[2]. وفى رواية عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمة علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك. وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة، كلهم فى النار إلا ملة واحدة. قال من هى يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابى**»[3].

---

١ - أخرجه الترمذى ٤: ٢٠٩؛ وأبو داود ٢: ٥٠٦ واللفظ له.

٢ - أخرجه الترمذى فى كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة، حديث رقم: ٢٧٧٨، وقال: حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح. وقد صححه ابن حبان (١٨٣٤) والحاكم (١: ٢٨١). وورد الحديث عن صحابة آخرين لم يُشر إليهم الترمذى، منهم: الصحابى معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنهما - أخرج حديثه أبو داود (٤٥٨٧) والإمام أحمد فى مسنده (١٦٩٣٧) وحسّنه الحافظ ابن حجر، وأنس بن مالك - رضى الله عنه - أخرج حديثه ابن ماجه (٣٩٩٣) وهو صحيح. وقد عدّ المحدّث السيد محمد بن جعفر الكتّانى هذا الحديث من المتواتر فى كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»، وعدّه الحافظ السّخاوى من الأحاديث المشتهرة فى «المقاصد الحسنة».

٣ - أخرجه الترمذى، حديث رقم: ٢٧٧٩، وقال: هذا حديث حسن غريب مفسر، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

فاليهود تفرقت إلى إحدى وسبعين فرقة، ثم افترقت النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، ثم افترقت أمة الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة، وكل الفرق سواء عند اليهود أو النصارى أو المسلمين لابد وأن تجد من بينها من هو على الحق، علم ذلك من علمه وجهله من جهله، وقد أكد على ذلك الرسول الكريم في سنن ابن ماجه[1]، من حديث عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

"افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ". قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ قَالَ "الْجَمَاعَةُ"[2].

وللعلماء في هذا العدد وجهتا نظر:

الأولى: أن المقصود بالعدد هو: التكثير، حيث إن مفهوم العدد مُطَّرَح، فليست الفرق محدودة أو محصورة بثلاث وسبعين، وإنما المقصود التكثير، وهو أن النصارى اختلفوا أكثر من اليهود، والأمة الإسلامية ستفترق أكثر من النصارى، فالعدد لا مفهوم له، وإنما المقصود مجرد التكثير، وقالوا: لو نظرنا إلى الفرق لوجدنا أن فرق الرافضة تزيد عن سبعين فرقة، والخوارج تزيد عن أربعين أو خمسين فرقة، ثم ظهرت الصوفية، وظهرت الطرق، وفي العصر الحديث ظهرت

---

١ - ابن ماجه (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ): هو محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه من أئمة المحدثين. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري. و(ماجه) بالهاء لا بالتاء، وقيل بالتاء أيضًا. وهو لقب والده، وقيل اسم أمه. من تصانيفه: (السنن) وقد اعتبر عند المتأخرين سادس كتب الحديث الستة، و(تفسير القرآن)، و(تاريخ قزوين). (انظر: المنتظم ٥/ ٩٠، والأعلام للزركلي ٨/ ١٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١٨٩).

٢ - أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، حديث رقم: ٣٩٩٢ .

فرق لم تكن موجودة من قبل، كالقاديانية، والبهائية، وإلى الآن توجد وتظهر فرق، وكلها تنتمى إلى الإسلام. إذًا: المقصود من العدد هو التكثير لا الحصر.

الوجهة الثانية: قال بعضهم: إن العدد مقصود، ولكن الثلاث والسبعين فرقة هى الأصول، وعليه فنستطيع أن نأتى بأصل الفرق، فنقول: الشيعة واحدة من الثلاث والسبعين، وكل ما تفرع عنها فهو فرع لها ولا يعد أصلاً، وكذلك الخوارج هى أصل أيضًا، وكل ما تفرع عنها لا يعد فرقة مستقلة، وإنما هو ضمن أصلها، ويكون الرقم (٧٣) بمعنى المنهج والأصل العام الذى تتشعب منه فرق أخرى[١].

---

١ - ورد فى قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة: ٨٠] استغفر (يا محمد) لهم أو لا تستغفر لهم، تخيير له فى الاستغفار وتركه، قال ﷺ: "إنى خيرت فاخترت يعنى الاستغفار" رواه البخارى ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل المراد بالسبعين المبالغة فى كثرة الاستغفار وفى البخارى حديث "لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها" وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضًا "وسأزيد على السبعين". والسَّبْعُ والسَّبْعةُ من العدد: معروف، يقال: سَبْع نِسوة وسبْعة رجال، والسبعون معروف، وهو العِقْد الذى بين الستين والثمانين. وفى الحديث: أُوتِيتُ السبع المثانى، وفى رواية: سبعًا من المثانى. وفى الحديث: "إنه لَيُغانُ على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة". وقد تكرر ذكر السبعة والسبع والسبعين والسبعمائة فى القرآن وفى الحديث، والعرب تضعها موضع التضعيف والتكثير كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾، وكقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ وكقوله: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة. والعرب تضع التسبيع موضع التضعيف وإن جاوز السبع، والأصل قول الله عز وجل: ﴿... كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ... ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١] ثم قال النبى، ﷺ: الحسنة بعشر إلى سبعمائة. قال الأزهرى: وأرى قول الله عز وجل لنبيه، ﷺ: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، من باب التكثير والتضعيف لا من باب حصر العدد، ولم يرد الله عز وجل أنه، عليه السلام، إن زاد على السبعين غفر لهم، ولكن المعنى إن استكثرت من الدعاء والاستغفار للمنافقين لم يغفر الله لهم. (انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: غفر، ومادة: سبع).

ويوضح الدكتور "سفر الحوالى" أنه على كلا القولين لا نستطيع أن نجزم بأن فرقة معينة هى من الثلاث والسبعين فرقة، أو نطبق هذا الرقم على فرق معينة ونحصرها، فقد أخطأ الشهرستانى فى الملل والنحل وأخطأ معه كثير من المؤلفين فى الفرق، عندما طابق ما ورد ذكره فى الحديث من ثلاث وسبعين فرقة على الفرق التى عرفها، وقال: الفرقة الأولى كذا، والفرقة الثانية كذا... حتى أكمل الثلاث والسبعين فرقة، فماذا نقول عن الفرق التى ظهرت فيما بعد؟!

إن لكل فرقة أساسا منهجيا تتفق عليه طوائفها، وترجع إليه أصولها وقواعدها، ومن خالف فيه خرج عن انتسابه لها ومن لم ينطبق عليه لم يدخل فيها. فمثلا كل من قال بالأصول الخمسة فهو معتزلى، وكل من قال أن الإنسان مجبور على أفعاله فهو جبرى، وكل من قال إن الإيمان هو المعرفة أو التصديق فهو مرجئ، وكل من قال بالكلام النفسى والكسب فهو أشعرى.. إلى آخر ما هو معروف. وهذا ضابط منهجى يحدد به الباحث الفرقة والانتماء إليها.

***